

عائشة و الجمل

(١)

عائشة بلغت الآن أربع سنوات ... أمها في سجن شمال فلسطين ... أبوها في سجن

جنوب فلسطين حيث صحراء النقب

... طبعا تعرفون السجنان ... هو

الاحتلال الذي احتل فلسطين

وطرد أهلها منها ... هو الآن

يُدخل آلاف كثيرة منهم في

سجونهم ... حتى هذه الطفلة

عائشة دخلت السجن مع أمها ولما بلغت السنتين

من عمرها فصلوها عن أمها بطريقة وحشية

... أمها بقيت في السجن وعائشة خرجت

لتعانق أباه في سماء الحرية ... سماء مدينة

رام الله الجميلة ... ثم ما لبثوا أن سجنوا

أباه وبقيت مع جدها وجدتها وأعمامها

وعماتها ... هل يعني كل هؤلاء الأحباب عن

أمها وأبيها؟!



استطاع أبوها أن يدخل الفرحة في قلبها رغم هذه المسافة البعيدة بين صحراء النقب ومدينة رام الله ... كيف؟! استطاع إخوانه الأسرى بعد سلسلة من المغامرات الناجحة والبطولات الرائعة أن يوفرُوا جهاز اتصال - هاتف خلوي - ليصل قلبه الكبير بقلب عائشة الصغير...

عائشة بذكاؤها وأسئلتها الكثيرة استطاعت أن تكتشف شيئاً جميلاً في سجن النقب سألت وهي تتكلم مع أبيها على الهاتف :



السجن الذي أنت فيه يا أبي في الصحراء ... صحيح؟!

- نعم صحيح

- عندكم جمل؟!

- نعم؟

- ما لونه؟

- أشقر أو بني فاتح

- كبير أم صغير؟!

- كبير....

- هل يتكلم؟!

- نعم

- ماذا يقول ؟

- قال لي : سلم على عائشة

- أنت تضحك علي ! الجمل لا يتكلم

- قلت لك إنه يتكلم ... هذا جمل عجيب ويختلف عن غيره .

- يا جمل ... تعال يا جمل ... كلم عائشة ... إنها تحبك وتريد أن تتكلم معك

جاء الجمل ... وتكلم مع عائشة بصوت هادئ وجميل

- من أنت ؟!

- أنا عائشة أنا بحبك يا جمل ...

- وأنا أحب كل الأطفال الحلوين ...

- كيف دخلت السجن ؟ الصهاينة « المقاطيع » حبسوك ؟

- لا ، لا ، أنا جئت هنا وحدي ... وأنا أحببت الأسرى وأحببت العيش معهم ...

- قل لي : كيف دخلت السجن ؟

- هذه لها قصة ... أتحبين سماعها

- نعم، نعم

- في يوم من الأيام كنت سائرا مع أبي وأمي وإخوتي في الصحراء ... رأيت شيئا غريبا

.... رأيت أسوارا عالية غريبة عن طبيعة الصحراء الجميلة ... وسألت أبي : ما

وراء هذه الأسوار ؟ ومن هؤلاء البشر الذين يلبسون اللباس الأزرق ويحملون السلاح ؟

فأجابني أبي : خلف الأسوار يوجد أسرى، أناس مظلومون ومسجونون تحيط بهم هذه

الأسوار العالية ، أما هؤلاء الذين يحملون السلاح فهم الظالمون الذين يضعون الأسرى

في السجن ويمنعونهم من الخروج .

- أبي واحد منهم أخذوه من عندي وحرموني منه ... حبيبي بابا ...

- أنا الجمل الذي لا يحب الظلم ... لذلك قررت أن أنضم إليهم ...

- وكيف دخلت هذا السجن ؟!

- أنا الجمل سفينة الصحراء ... كما اخترق الصحراء سألت الله أن يمكنني من اختراق

هذه الأسوار العالية ، دلني أبي على طريقة قديمة يعرفها من قديم الزمان وهي أن

أشرب كمية كبيرة من الماء عندها أصبح شفافا كالماء ... أرى الناس ولا يرونني ...

ودعت أبي وأمي وإخوتي ... شربت ماء كثيرا

تحولت إلى غيمة جميلة طارت في السماء
ثم تحركت خلف الأسوار، رأيت الأسرى ...

فنزلت عندهم حيث المفاجأة الجميلة لهم فجأة وجدوا جملا يسير بينهم

- هل فرحوا؟ وكيف سلموا عليك؟!

هنا تدخل أبو عائشة وقال ...

- انتهى وقت المكاملة ... غدا تكمل القصة

أيها الجمل الجميل

قالت **عائشة** :

- أنا بانتظارك بابا ...

غدا ... سأحدث

جدتي عن قصة

الجمل ثم نادى

جدتي جدتي أنا تكلمت

مع الجمل الذي يعيش مع أبي

في السجن .

حدثت **عائشة** جدتها وكل من

حولها من الأحاباب عن الجمل وعن

الحديث الذي كان بينها وبينه ، أحبته

حبا كبيرا ورسمت له في خيالها صورة جميلة وصارت

تحلم في اليوم الجميل الذي ستلتقي فيه مع الجمل

الحبيب ...



(٢)

في اليوم التالي أخذت تنتظر موعد الاتصال الذي اعتاد عليه أبوها إنه بعد صلاة المغرب ... جلست بعد أذان المغرب قرب الهاتف تنتظر لحظة وراء لحظة بفارغ الصبر تترقب وترى نفسها وقد حملها الجمل على ظهره وراح بها بعيدا حيث الصحراء الواسعة وشجر النخيل العالي وقطوف البلح اللامعة تحت أشعة الشمس الذهبية ...

كانت تتصور نفسها وهي على ظهر الجمل قادرة على قطف البلح بيديها الصغيرتين وقد يأخذها الجمل الى الواحة الخضراء التي تتميز بلونها الرائع وظلال أشجارها المنعشة ، هناك بعيدا وسط الصحارى الكبيرة تجد مثل هذه الواحات العليلة .

رن الهاتف هبت عائشة لترفع السماعة وتقول :

- من ؟ بابا ؟! أين الجمل ؟! هل هو نائم أم مستيقظ ؟!

- إطمئني يا **عائشة** إنه صاح ... إنه ينتظرك منذ الصباح .

- اعطني إياه ... هيا يا بابا أسرع؟

- ألا تريدين أن نتحدثي قليلا

مع أبيك أولا ...

- بعد قليل يا بابا ... أريد أن أكمل

القصة مع الجمل ...

- هاهو الجمل يتحدث معك ...

تفضل يا جمل

- جملي الحبيب كيف حالك ؟

- الحمد لله يا ست **عائشة** ... كيف حالك

مبسوطة ؟

- الحمد لله ... الآن أنا أنتظر قبل أن تكمل

القصة ... كيف استقبلك الأسرى عندما نزلت

في ساحتهم ؟ هل خافوا منك ؟!

- خافوا مني ؟! بالعكس تماما إنهم فرحوا أشد

الفرح ... أحاطوني من كل جانب مسحوا

بأيديهم بكل عطف وحنان على رأسي ورقبتي



وسنامي؟ يا سلام ما أحسن هؤلاء الناس ... قلوبهم طيبة ووجوههم مبتسمة مضيئة .
هل أطعموك؟! .

- يا سلام ... أحضروا لي طعاما لذيذا لم أذق مثله من قبل ... بطيخ ، خيار ، بسكوت ،
أنا لم أشعر بالسعادة والفرح عندهم لأنهم أطعموني ... لا وإنما لأنهم أناس طيبون
ومظلومون .



- جدتي تقول عن هؤلاء الصهاينة السجائين : « المقاطيع » ، تصور يا جمل سجنوا أمي
وأبي ... أنا كنت مع أمي في السجن وأنا صغيرة ... لما كبرت أخرجوني ولم يتركوا أمي

كي تخرج معي ... ما ذا نسمي هذا يا جمل؟! .

- نسميه « الظلم » دعيني أكمل لك القصة

- تفضل يا حبيبي يا نور عيني ... تفضل يا جمل .

- أنا اسمي صبور يا عائشة ...

- اسمك جمل!! .

- أنا جمل ولكن أبي سماني صبور

- لماذا سماك صبور؟!

- نحن الجمال نصبر كثيرا ... نساfer مسافات طويلة في الصحراء الحارة حيث لا ماء ولا طعام ولا ظل ... نحمل على ظهورنا أحمالا ثقيلة ... لذلك فإننا نصبر ونتحمل الحياة أكثر من غيرنا ... لذلك سماني أبي صبور.

- لنكمل القصة أيها الجمال الصبور ... الأسرى فرحوا بك ولكن الصهاينة السجانين ... ماذا فعلوا هؤلاء بك « المقاطيع »؟!

- إنهم لا يحبون أن يروا الفرحة في وجوه الأسرى ... غاظهم وأغضبهم وجودي معهم فأعلنوا الحرب ... أحضروا عشرات الجنود بأسلحتهم وعصيهم ... حاصروا السجن وطلبوا من الأسرى إخراجي من عندهم وإلا فسيدخلون وسيطلقون الرصاص علي وعلى كل من يدافع عني من الأسرى ... تقدم أمير الأسرى وهو رجل عاقل حكيم قال للصهاينة والسجانين الملاحين : ماذا يضركم وجود الجمال معنا؟!

قالوا بعنجهية وكبر :

- لا يضرنا بشيء ولكن وجوده معكم ممنوع؟!

قالت عائشة :



- هذه كلمة « ممنوع » أكثر كلمة كنت

أسمعها في السجن ، كل شيء

ممنوع ...

تابع الجمل ، قال الأمير :

- نحن مستعدون أن ندفع لكم أشياء ثمينة مقابل بقائه معنا ...

- هذا الأمر لا يقبل المساومة ... أخرجوه لنا قبل أن نقتله ...

- لن ندعكم تقتلونه ... سنموت جميعا نحن والجمل أو نحيا جميعا .

- إذا أنتم الخاسرون ...

- الظالم هو الخاسر دائما ...

«رفع الجنود أسلحتهم واستعدوا لإطلاق النار ؟؟؟ كانوا ينتظرون الأمر من كبير

الإجرام فيهم ... » أنا الجمل الصبور لا أريد أن أتسبب بالضرر للأسرى الأحباب ...

ماذا أفعل ... تذكرت الطريقة التي دخلت بها السجن ... توجهت إلى الماء وأخذت

أشرب وأشرب ... كل العيون تنظر إلي ... العيون المحبة والعيون الحاقدة... قلت يا

الله شعرت أن جسمي قد أصبح روحا شفافة ... تحولت إلى غيمة .. ارتفعت في

السماء توارت عيون الحاقدين وارتدت خاسئة ... أشرقت عيون الأسرى فرحا

... سجدوا جميعا لله .

قال أبو عائشة :

- لقد انتهى وقت المكاملة أيها الجمل الصبور ... اذا سمحت أعطني الهاتف

- تفضل يا صديقي

سألت عائشة :

- وماذا حدث بعد ذلك

- كيف عدت للأسرى

- هذا ما سيحدثك عنه غدا إن شاء الله ... مع السلامة يا بابا .

- السلام عليكم يا حبيبي يا بابا

- تصبحين على خير

(٣)

وفي اليوم التالي كانت عائشة تجلس في شرفة منزلها في مدينة رام الله ... كان الوقت

مساءً وكانت عائشة تراقب الشمس وهي تغيب في الأفق ... كانت عائشة تنظر إلى

هذا المشهد البهيج وهي فرحة مسرورة وذلك لسببين :

الأول : لأنها تشعر بأن الشمس في سفرها إلى هذا المكان البعيد تحمل لها سلاما إلى



أمها حيث أنها تمر بها وترسل إليها هذه الصور البديعة أما السبب الآخر فإن مغيب الشمس يذكر بقرب سماعها لرنين الهاتف القادم من أبيها الحبيب وجملها الصبور غابت الشمس بضياؤها وروعة عناقها المسائي للأفق ، حل الظلام وأرعى بظلاله السوداء كما حل الاحتلال على فلسطين وأتى بالسجون .. انكشمت عائشة على نفسها قليلا لولا أنها سمعت رنين الهاتف فهبت إليه والفرحة تقفز على وجهها ... « بابا ... بابا ... حبيبي بابا ... »

- ألو مين بابا ؟!

- كيف حالك يا عائشة ؟! مبسوطة ؟!

- الحمد لله ... إذا سمحت أعطني الجمل ...

- إنه بانتظارك ... ها هو ذا تفضلي

- حبيبي الجمل صبور ... إني مشتاق إليك .

- وأنا كذلك ... أحب سماع صوتك العذب ... يا لك من طفلة رائعة ...

- أنا لم أعد طفلة ... أنا كبرت كثيرا ... ها أنا أتحدث مع الجمل وأسمع منه قصة عظيمة

- إذا لنتابع القصة ...

- تفضل يا سيدي ... ماذا فعل السجانون « المقاطيع » بعد أن رأوك تتحول إلى غيمة ...

هل عرفوا بأنهم على باطل .

. هؤلاء ١٩ لقد كذبوا ما رأت أعينهم ١٩ إنهم المغضوب عليهم ... إنك تحفظين سورة

الفاحة يا عائشة ١٩

. نعم أحفظها ... أقرأ دائما المغضوب ولا أعرف معناها ، الآن عرفت إنهم الذين يعرفون

الحق ثم يعرضون عنه .

. تماما مثل هؤلاء الصهاينة السجانين ... جاءوا في اليوم التالي إلى السجن بقوة كبيرة

.... خمس دبابات وعشرات الجنود الذين يحملون الأسلحة القاتلة ...

أخرجوا الأسرى من خيامهم جعلوهم صفوفًا أمامهم ... وجهوا الأسلحة إلى

صدورهم ... مدافع الدبابات نظرت إليهم بحقد أعمى ... كان الوقت ظهرا ... تعلمين

حرارة الصيف في الصحراء ... إنها شديدة وقاسية .. كانت كتار النمرود التي أوقدها

كي يلقي سيدنا إبراهيم فيها ... تعرفين هذه القصة ١٩

. نعم ... نعم ، حدثتني عنها أمي عندما زرتها في السجن ...

. جاء مدير السجن ... قال للأسرى : أنتم عندكم جمل وهذا ممنوع أخرجوه لنا خير



لكم ..

قال أمير الأسرى

- لقد كان عندنا بالأمس وقد خرج وأنتم تنظرون إليه .. اسأل من رآه من السجنائين ...
أجاب المدير غاضبا ...

- لا أريد أن أسأل ... هما كلمتان لا ثالث لهما ... أخرجوه فوراً .. مفهوم

قال الأمير :

- أقسم بالله بأنه لا يوجد لدينا جمل ... لماذا لا تصدقنا ... اسأل السجنان « شلومي »
لقد رآه معنا ...

رفع المدير صوته ونهق :

- لقد سمعت ما قلت ... أنا لا أصدق هذا

- إذا فتش السجن وتأكد بنفسك أن الجمل غير موجود ...

- لا أريد التفتيش... ستبقون في الشمس حتى تأتونني بالجمل ...

واشدت الشمس عليهم ... العرق ملاً أجسامهم ... واشتعل الغضب في صدورهم ...

ولكن ماذا يفعلون والأسلحة توجه حقدًا القاتل عليهم ... كانوا لا يستطيعون

الجلوس ولا يستطيعون الحركة ولا فعل أي شيء فقط كانت القلوب عامرة

بذكر الله ... توجه الأسرى إلى الله يدعونه ويستغيثون به ... لم يكن أمامهم في هذه

الصحراء البعيدة وأمام هؤلاء السجنائين الملاحين إلا الله ...

- وأنت أيها الجمل الصبور ماذا فعلت ؟

- أنا تحركت بسرعة إلى معشر الجمال أخبرتهم ماذا يجري لإخواننا الأسرى علمتهم

بسرعة طريقة التحول إلى غيمة ... شربنا ماء كثيرا ...

قلنا : يا الله كن معنا ومع المساجين ... كنا عشرة جمال تحولنا إلى عشر غيمات

سرنا مسرعين إلى السجن وبعون الله وتأييده للمظلومين عملنا غيمة كبيرة ووقفنا

بين الشمس الحارقة وبين الأسرى ... فجأة وجد الأسرى أنفسهم تحت ظل ظليل

يقبهم حر الشمس ... كانت قلوبهم تقول يا الله فاستجاب الله دعاءهم ... نظروا إلى

السماء فوجدوها غائمة ... قالوا معا : سبحان الله ما أرحمك !! ونحن الجمال عندما

رأينا إخواننا في هذا العذاب الأليم بكت عيوننا فهطلت امطارا ... مطر في الصحراء

صيفا ... هذا أمر عجيب ولكن الأسرى قالوا هذه كرامة من الله للمظلومين....
- وماذا فعل الصهاينة « المقاطيع » ؟ ماذا قال المدير الملعون ؟
« هنا تدخل أبو عائشة وقال :
- لقد انتهى وقت المكاملة اليوم ... غدا نكمل إن شاء الله ...
- حاضريا بابا ... أنا بانتظاركم بعد مغيب الشمس غدا ...
قال الرجل ... إن شاء الله ... إن شاء الله أيتها الصديقة الصغيرة ...
- اتفقنا أني كبيرة أيها الرجل الصبور ...
- نعم ... نعم أنا آسف أيتها الكبيرة
- تصبحون على خير

(٤)

حدثت عائشة كل أحبابها قصة هطول المطر في صحراء النقب وفي منتصف فصل الصيف ... كان ظهر ذلك اليوم بردا وسلاما على الأسرى المظلومين ، وكان لصديقها الرجل « صبور » دور عظيم ... يسره الله للأسرى وملاً قلبه حبا ورحمة قالت الجدة وهي تبتسم وتربت على كتف عائشة :
- لقد حدثني هذه القصة الأسير المحرر « باجس فارس » حيث بللته الأمطار في هذا



اليوم الحار ... إنها في صيف سنة ١٩٩٠م وقد شهدها عشرات الأسرى ...

- جدتي ... الله سبحانه يحب الأسرى ؟؟

- نعم ((إن الله يحب الصابرين)) يا بنتي ..

- أبي وأمي منهم ... الله يحبهم إذن ؟؟

« رن الهاتف ... ردت عائشة بسرعة :

- ألو، مين ... بابا ... أنا أحبك يا بابا ...

- وأنا أحبك يا عائشة مثلما أحب المطر والشمس والقمر ...

- من أكثر أنا أم الجمل ؟

- أنت تحبين من أكثر ؟ أنا أم الجمل ؟!

« احتارت عائشة ثم أجابت »

- أحبكم الاثنين أنت والجمل

- ها قد أتى الجمل ... تفضل يا

صبور « عائشة معك على الخط

؟؟؟

- السلام عليكم يا عائشة ...

- وعليكم السلام ورحمة الله ... أين

أنت ؟ لم تقل لي ماذا فعل « المقاطيع »

بعد أن رأوا المطر ...

- لم يصدقوا عيونهم وقف المدير حائرا

بينما الجنود ارتخت أيديهم عن حمل أسلحة

القتل تركوا النظر إلى الأسرى وحملقوا في السماء ...

أنا بدوري تحركت من فوق الأسرى وصرت فوق الجنود ومديرهم ... تبعني بقية

الجمال بصقت على الجنود وبصقت الجمال امتلأت أجسامهم من بصاقنا اللزج

وصارت أحوالهم في ضيق شديد ... ضحكنا وضحك الأسرى ثم ما لبث مديرهم إلا

وأعلن الانسحاب ثم عاد الأسرى إلى خيامهم يشكرون الله ويسبحونه ويكتبون في

مذكراتهم ما جرى في هذا اليوم المشهود ...

- أبي ؟! ماذا فعل ؟!

- أبوك كان يراني ويرى عيوني من بين الغيوم ... أبتسم ويبتسم لي ... عاد إلى خيمته



بعد انتهاء هذه الآية الباهرة ... آه ... آه ما أكثر آيات الله ولكن الظالمين لا يرونها ...

- مثل هؤلاء السجانين « المقاطيع »

- تصوري يا عائشة ، ما هي إلا ساعتان وقد عاد السجانون ... اقتحموا السجن على حين غرة ... أرادوا أن يمسكوني قبل أن أتمكن من الفرار أو قبل أن يتمكن الأسرى من إخفائي عن أعينهم أنا لم أكن قد عدت الى السجن لأنني رسمت في رأسي خطة للانتقام من مدير السجن .

- ماذا ... هذه قصة جديدة ...

هنا تدخل أبو عائشة وقال :

- لأخبرها أولا كيف اقتحموا السجن ... فجأة حيث كنا نصلي صلاة العشاء فتحو الباب ودخلوا بأعداد كبيرة ... فتشوا الخيم خيمة خيمة ، قلبوا كل شيء فيها وجعلوها كالعهن المنفوش أو كعش العصفير الذي هاجمته أفعى وخربت بنيانه ... فتشونا واحدا واحدا وكان أحدنا يخفي الجمل في جيوبه ... لم يجدوا الجمل وعادوا بخيبتهم من حيث أتوا ...

- ولم يحترموا الصلاة !؟

- هؤلاء لا يحترمون أي شيء في الحياة ولكنك لورأيتهم لامتلاً قلبك فرحا

- كانوا في غاية الغضب وكنا نحن في غاية الفرح ... خاصة عندما نتذكر المطر الذي أرسله الله إلينا وقت الظهر

- والآن لأعود إلى الجمل كي يحدثني عن قصة الانتقام ...

- تفضل يا « صبور » معك دقيقة واحدة ...

- أقل من دقيقة ... عرفت سيارة مدير السجن ، لونها ونوعها ... ثم انتظرت خارج السجن على الطريق العام عند ملتقى الطريق الفرعي الذي يصل السجن بالطريق الرئيسي وقفت له معترضا طريقه في منتصف الطريق ...

عندما رأني دب الرعب في قلبه ... رأى شبحا كبيرا يقف أمام سيارته ،، أنا صحيح صبور وأحب الصبريا عائشة ولكني أمام الظالم أغضب غضبا شديدا ...

- كسرت زجاج السيارة الأمامي ثم وضعت رقبته بين أسناني ... أخرجته من السيارة ورفعته عاليا ثم ضربته بالأرض ... أراد أن يسحب سلاحه المعلق على وسطه كان مسدسا يستطيع من خلاله أن يطلق النار فيقتلني كما قتل كثيرا من الفلسطينيين في

حياته الطويلة والحافلة بالإجرام ولكن ساعة الانتقام من الظالم قد أتت ... وقضمت يديه بين أسناني قبل أن تصل المسدس سحقته ثم رفعته عاليا مرة ثانية



ثم ألقىته بعيدا حيث ارتطم بجذع نخلة كانت تود أن تشارك في الانتقام ... لفظ أنفاسه ومات ثم دفعت سيارته ، وقلبتها عليه ... عدت ليلا لأدخل عند الأسرى وأبشر أباك بالخبر ...
«قال أبو عائشة»

- وقرأنا في الصحيفة صباحا خبر موت مدير السجن في حادث سير
لم يعد لدينا وقت يا عائشة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
وعليك السلام ... تصبح على خيرأيها الصديق العزيز ...يا جملي الصبور ...

(٥)

كانت عائشة في اليوم التالي في غاية البهجة والسرور وكان الأطفال من حولها محتارين في أمرها ... أبوها وأمها في السجن ومع ذلك فإنها تضحك وتلعب وتمرح ... ما هو السر؟! وكانت لها ابنة عم ، عمرها مثل عمر عائشة اسمها «دعاء» ... عندما كانت تغضب منها «دعاء» كانت تقول لها أنت أمك في السجن ... أنت يا عائشة أبوك في السجن ... كانت عائشة تضحك وتقول :
- أنا لي جمل صديق اسمه «صبور» ... أتحدث معه كل يوم يحكي لي حكايات

جميلة ... أنت يا «دعاء» لا يوجد لك جمل صديق
تسكت «دعاء» ثم ترجو عائشة أن تحكي لها حكايا الجمل
وعائشة اليوم تحدثت طويلا عن بطولات صديقتها الجمل كيف كان المطر في
صحراء النقب ... وكيف (خرج الجمل عن صبره) وانتقم من مدير السجن ... كانت
عائشة فخورة بأبيها وأمها لأنهم لا يحبون الظلم والظالمين ومقدار ما كرهت السجانين
الظالمين أحبت الأسرى المظلومين ... وكانت تحب الجمل لأنه وقف مع المظلومين ضد
الظالمين



بعد سفر طويل للشمس الجميلة منذ شروقها إلى غروبها رأت عائشة الشفق الأحمر
يلوح في الأفق ... اقتربت من الهاتف فهي الآن على موعد مع حبيبها الجمل
- ألو... صديقي الجمل ...
- أنا بابا يا عائشة ... كيف حالك حبيبتي؟!
- مبسوطة ، بخير والحمد لله ... إذا سمحت أعطني الجمل
- ها هو ذا تفضلي ... آسف على التأخير

- أنا فخورة بك أيها الرجل العظيم ...
- لا .. لا تقولي هذا ... العظمة لله وحده ... ما أنا إلا عبد لله ، أحب الله وأكره الظلم .
- لذلك فإنك مع المظلومين ضد الظالمين ...
- المهم يا سيدتي .. انتشر خبر موت مدير السجن تحدث السجانون عن القصة ... قالوا
إن سبب الحادث هو جمل وقف في طريق المدير هرب المدير بسيارته المسرعة من
الرجل فاصطدم بنخلة طويلة ... تحطمت السيارة فوق رأسه ومات .
وتذكر السجانون ذلك الرجل الذي كان مع الأسرى داخل السجن ثم تحول إلى غيمة
وطار في السماء
- إذا أصبحوا يخافون من الجمال .
- هو ذاك ... يرتعدون خوفا كلما ذكر أحدهم كلمة جمل على لسانه .
- الله أكبر ... الله أكبر .
- أنا بدوري صرت أصل إلى السجن بعد المغرب ثم أغادره في الصباح ... أسهر مع أحابي
الأسرى ... أسمع منهم ثم أفكر في مساعدتهم
- كيف تستطيع مساعدتهم والسجانون إذا رأوك قد يقتلونك ويطلقون عليك النار ؟!
- تذكرني بأنهم يخافون مني ولا بد من التوضيح اسمعي لأحكي لك ما فعلت ...
قال لي أبوك إن أهالي الأسرى قد أحضروا معهم كتباً وملابس لأبنائهم الأسرى ...
ورفضوا إدخالها وتركوها على باب السجن ... قال لي أبوك بأن أهم شيء عند الأسرى
هو الكتب ... إنها أهم عندهم من الملابس وأهم من الأكل ... الأكل غذاء البطون أما
الكتب فهي غذاء العقول عندك : ما الأهم يا عائشة ؟!
- غذاء البطون أهم
- أما عند الأسرى فغذاء العقول هو الأهم ... أنت حرة برأيك وهم أحرار برأيهم ...
المهم أنا فكرت في طريقة لإدخال الكتب والملابس إلى السجن ...
- كيف ؟! ماذا فعلت أيها الرجل الذكي ؟!
- استعنت بالله ثم تحولت إلى غيمة وتسللت إلى الغرفة التي ينام فيها الضابط السجن
والمسؤول عن الأشياء التي يدخلها أهل الأسرى إلى أبنائهم داخل السجن وهناك
في غرفته عدت إلى شكلي الحقيقي الرجل الضخم ... وكان هذا الضابط يغط في
نومه ... هزرت كتفه بيدي فتح عينيه وقال ... أنا أحلم ؟ أنا صاح ؟ قلت له يا
حبيب أمك أنت تحلم ولا كيف يدخل جمل ضخم مثلي من باب هذه الغرفة الصغيرة ؟
فرك عينيه ولم يصدق قلت له والغضب يتطاير من بين أسناني : اسمع غدا أدخل

الكتب والملابس للأسرى والا لا تلومن إلا نفسك ... لا تنس ما جرى لمدير السجن قبل أيام ... أفهمت ؟
تركته تحت وقع الصدمة ثم تحولت إلى غيمة وخرجت من النافذة نحو السماء
عدت إلى الأسرى وبشرتهم«غدا ستدخل الكتب والملابس »
- وهل دخلت
- اسألني أباك.... «قال أبو عائشة»



- نعم .. دخلت جميعها، وها هم الأسرى يقرؤون فيها مما لذ وطاب
«تابع الجمل»
- وقد فعلت نفس الشيء مع المسؤول عند إدخال المواد الغذائية ... هذا لم يصدق نفسه
بأنه في اليقظة لا في المنام حدث في الصباح ما رأى في المنام ... قالوا له : احذر..
هذا الجمل حقيقي وليس مناما ... إرتعد من الخوف وهو الآن في حالة خوف شديد ..
لا تغيب عنه صورة الجمل المخيف للحظة واحدة ويتذكر ما قلته له كلمة كلمة :
« لا تلومن إلا نفسك » إياك أن تنس ما جرى لمدير السجن قبل أيام ...
قال أبو عائشة ...

- إذا سوف يتحسن الطعام في السجن
- نعم سوف ترون الفاكهة والخضروات واللحوم بإذن الله وإلا سيكون مصيره هو مصير مدير السجن قاتله الله ...
- يا لك من بطل رائع أيها الجمل الصبور
- انتهت المكالمة يا جماعة ... عندي اجتماع الآن الأسرى يفكرون بخوض إضراب عن الطعام من أجل تحسين أوضاعهم ما رأيك أن تحضر معي الاجتماع ..
- قال الجمل :
- لا ... أنا أساعدكم بإذن الله بطريقتي الخاصة
- مع السلامة يا عائشة ...
- أنا أسعد إنسانة ... لسماع هذه الأخبار ... مع السلامة يا بابا مع السلامة صديقي
- الجمل الصبور

(٦)

انتظرت **عائشة** رنين الهاتف في اليوم التالي ... لم يرن الهاتف ... بقي صامتا جامدا كالصخر ... قلت عائشة على أبيها وعلى الأسرى وعلى الجمل أيضا ... تذكرت أن أباه قد قال لها إن الأسرى يفكرون بالإضراب المفتوح عن الطعام عائشة تعلم كم أن هذا الإضراب صعبا يتمتع المضربون عن الأكل في الليل والنهار ولأيام طويلة ... الإضراب سلاح الأسرى الذي يحققون به من السجناء « المقاطيع » ما يريدون ... والأسرى يريدون أن يعيشوا بكرامة ... أن يعالج المرضى ، تحسين الطعام ، إدخال الكتب والسماح بالدراسة والصلاة ومعاملة الأهل عند الزيارة باحترام وبما يليق ببني الإنسان .

في اليوم التالي سمعت عائشة عن إضراب الأسرى في كل السجون ... أخذت مع جدتها تدعو الله أن ينصر الأسرى الكرام على أعدائهم اللئام .

انتشرت المظاهرات في المدن الفلسطينية دعما للأسرى ووقفا معهم في إضرابهم ... صارت عائشة وجدتها وعمتها وعمها يشاركون في المظاهرات ... كانت عائشة نجمة لامعة وسط الناس وهم يهتفون ويرفعون صوتهم عاليا من أجل رفع الظلم عن الأسرى المظلومين وكان المصورون والصحفيون يلتصقون حول عائشة لأنها كانت ذكية وتنظر بعين قوية كعيون الصقر وتتحدث بطلاقة ، يا رب انصر الأسرى ... اهزم السجناء الصهاينة ... وحطم السجون والقيود يسألها الصحفيون ... لماذا يضرب الأسرى؟؟ ... فتقول لأنهم مظلومون ... ماذا يريدون ؟ فتجيب الحرية والكرامة .

ومضت عشرون يوما وعائشة في النهار مع المظاهرات وبعد المغرب تنتظر رنين الهاتف ... اشتاقت شوقا عظيما لسماع صوت أبيها والجمال الصبور أيضا ... كل يوم تسأل جدتها أكثر من مائة مرة ... متى سينتهي الإضراب فتجيبها جدتها بكلمتين لا ثالث لهما : عندما ينتصرون .. فتبتسم عائشة فتقول لجدتها : هؤلاء الأسرى أنا أعرفهم جيدا لا يعرفون إلا الانتصار أو الشهادة .

في اليوم الحادي والعشرين رفعت عائشة سماعة الهاتف لتسمع صوت أبيها

- حبيبتي عائشة ... كيف حالك يا بابا ؟!

- حبيبي بابا أخبرني ما ذا جرى ؟!

- لقد انتصرنا يا عائشة ... الحمد لله حققنا أغلب مطالبنا : سيعالج المرضى ، وستدخل

الكتب ، ويسمح بالدراسة ، وستقام صلاة الجمعة جماعة كما نريد و ...

- مبروك ... هنيئا لكم ... ولكن ماذا عن صديقي الجميل الصبور

- لقد كان له دور عظيم في إنجاح الإضراب بداية أبي إلا أن يضرب معنا ثم حل لنا

مشكلة كبيرة وهي عملية توصيل الرسائل إلى السجون الأخرى كي يكون الإضراب لكل

الأسرى صفا واحدا .. لقد كانت وحدتنا هذه هي سر نجاحنا ...

- كيف نقل الرسائل هل هو « ساعي بريد » ؟!

- كان ساعيا للبريد وأكثر ... ها هو يريد أن يتحدث إليك ، قل لها يا صبور ما فعلت في

الإضراب ؟! ولكن قبل أن أعطيك إياه أهمس في أذنك همسة : لولا الجميل الصبور لما

انتصرنا في هذا الإضراب .

- ألو ... أنا مشتاق إليك يا عائشة ... متأسف لأننا كنا مشغولين في الإضراب .

- كيف حالك أيها الجميل الصبور ... أنت بطل الإضراب ... صانع الانتصارات

- لم أفعل سوى واجبي مع المظلومين .

- قل لي ما فعلت هات القصة من أولها إلى آخرها .

- حسنا ... كانت هناك مشكلة في إيصال الرسائل بين السجون من أجل توحيد الإضراب

ووقوف بقية الأسرى في كل السجون وقفة واحدة أنا أخذت الرسائل ثم طرت

في السماء ... إجتمعت إلى معشر الجمال لأن السجون كثيرة وذهابي أنا وحدي سوف

يأخذ وقتا طويلا ...

لذلك أعطيت كل جمل رسالة ليذهب إلى سجن واحد ، ثم ينتظرهم حتى يكتبوا ردهم

، ثم يعيدها معه .. كان أحدهم بسرعة يتحول إلى غيمة ثم يسابق الريح باتجاه

السجن المقصود أما أنا فقد اخترت أن أذهب إلى سجن ؟ ماذا تتوقعين يا

عائشة ؟!

فكرت عائشة هنيهة ثم أجابت :

- أتوقع سجن أمي ..؟؟

- نعم .. نعم هو ذاك سافرت لمرتين قاطعا لسماء فلسطين من الجنوب إلى الشمال سرت مسافة ثلاثمائة كيلو مترا .. ثلاث ساعات وأنا طائر في السماء . انتقلت إلى مكان أجمل ... وكنت كلما اتجهت شمالا يتحول لون الأرض من الأصفر إلى الأخضر الشجري حيث أشجار البرتقال والجناات المزروعات ...

- قل لي كيف فاجأت أمي؟؟ هل نزلت في ساحة السجن؟؟ أنا أعرفها لأنني عشت فيها ... كيف نزلت؟؟ سقف الساحة شبك حديدي !!

- تعلمين أنني أكون غيمة في السماء ... نزلت من بين مربعات الحديد ... حتى إذا صرت على أرض ساحة السجن ، دعوت الله كما أفعل دائما فعدت إلى صورتي الحقيقية ... جمل جميل كما تعلمين ... التفتت الأسيرات من حولي ... فرحن فرحا عظيما

جاءت أمك لتمسح رقبتني بلطف وحنان وتقول للأسيرات : هذا الجمل هو صديق ابنتي عائشة لقد كانت تحدثني عن مكالماتها معه عندما تزورني وقلت لهن : يا معشر الأسيرات المحترمات .. أخوتكم الأسرى ينوون الإضراب عن الطعام .. هاهي رسالتهم ... أعطوني رديكم بأسرع وقت قبل أن يراني السجنانون اللئام ... أخذت أمك مني الرسالة ... غابت قليلا ثم عادت برسالة الرد قالت لي : على بركة الله أيها



الجمال البطل الصبور .

فجأة أطلقت صفارات الإنذار ... هجمت عشرات السجانوات على ساحة السجن يردن إلقاء القبض علي ذهبت إلى الماء فورا ... شربت الكمية المطلوبة ثم صرت غيمة تطير عاليا في السماء ... الأسيرات المظلومات قلن : سبحان الله وركعن ساجدات . أما السجانوات فسألن : أين ذهب الجمال ؟!

حضرت مديرة السجن ، قلن لها عن الجمال الذي رأيته ... فقالت : أنتن مجنونات مسطولات ... كيف يدخل الجمال من هذا الباب الصغير وهو حيوان كبير ... لا شك بأنكن كنن تحلمن وأنتن نائمات .

ماذا قالت لك أمك عني ؟!

- إنها تحبك حبا عظيما وتهديك أجمل السلامات كل الأسيرات : قلن لي بصوت واحد ... يا جمال الأميرة عائشة ... هنيئا لك حبا وكللماتها الساحرة ... ثم إنني يا عائشة ، طيلة فترة الإضراب وأنا أتنقل بين السجون وأنقل لهم الرسائل ، ولذلك فقد كنت أقوم بشيء آخر ... أتسلل ليلا إلى غرف المسؤولين ، في عصابة السجانين وأعمل لهم كوابيس كتلك التي عملتها مع ضابط سجن النقب ... قال أبو عائشة :

- وكان لهذا أثر عظيم في قذف الرعب في قلوبهم وتحقيق نصر الله لنا ... الآن طالت المكاملة وزادت عن الحد المسموح ... أرجو المعذرة ... غدا تكملون ...



- أنا بانتظارك أيها الجمل البطل ...
- لا تقولي البطل ... فقط ... صبور ... أنا لم أقم إلا بواجبي ... آه انتهى الوقت
... جاهزة السلام عليكم ورحمة الله
- وعليكم السلام أيها الجمل الصبور

(٧)

ومضت الأيام ، وفي كل مساء تستمع عائشة لقصص وحكايات الجمل الصبور .. ومع كل يوم جديد تزداد شوقا ليوم اللقاء ... اليوم الذي سيخرج فيه أبوها من السجن ... وهو نفس اليوم الذي سترى فيه جملها الحبيب لأنه وعداها بأن يأتي مع أبيها عندما يفرج عنه ... وموعد الإفراج عن أبيها يصادف أيضا عيد الأضحى ... يا له من يوم عظيم ... إنها بانتظاره على أحر من الجمر كما تنتظر الطيور الجميلة فصل الربيع . ومع اقتراب هذا اليوم السعيد فإن عائشة تزداد حنانا وشوقا وتزداد خوفا وقلقا ... لماذا ؟ لأن السجنين «المقاطيع» قاموا بتجديد حكم أبيها ست مرات ... كلما ينتهي حكمه وفي يومه الأخير يضيفون عليه ستة شهور ... يسرقون الفرحة من قلب عائشة ... يدوسون مشاعرها الرقيقة بأقدامهم الفظيعة يتفننون بتعذيب أطفال الأسرى كما يفعلون مع الأسرى أنفسهم ما ذنب الأطفال ؟! تتساءل عائشة

عائشة كانت مع جدتها وعماتها وأعمامها وأخوالها وخالاتها ومع كل الأطفال من حولها ... يدعون معا ... يارب فرج عن الأسرى والمحرومين من أطفالهم . ومع الدعاء أيضا كانوا يشاركون في المسيرات والمظاهرات التي تنادي بإطلاق سراح أسرى الحرية أجمعين .

هبطت ليلة عيد الأضحى على سجن النقب وهي تشع نورا وضياء وكأنها قد أحضرت معها كل مآذن فلسطين وهي تسطع نهارا بالتكبير ... وكان الأسرى فرحين بقدم العيد أولا وبالإفراج عن «أبو عائشة» غدا ثانيا ... صحيح أن العيد يذكر الأسرى بأطفالهم وأحبابهم وبأنهم في العيد يفقدون آباءهم غائبين عنهم ولكنهم يفرحون لأن العيد هدية الله لهم ولأنهم يقهرون السجنين بفرحتهم بالعيد .

بعد صلاة العشاء جلس الأسرى على شكل دائرة كبيرة وسط ساحة السجن أمام الخيام ... وبدأ الاحتفال ، آيات من القرآن الكريم تلاها أحد الأسرى ثم أنشدوا معا نشيد الحرية الجميل ... وقامت فرقة الدبكة الشعبية لتقدم أجمل عروضها ... ثم فتحوا المجال للنكات والمفاجآت ، .. قام أسير يبلغ من العمر الخامسة والستين ومعه طاقة بيده وقال لتذكر طفولتنا ولنلعب لعبة « طاق طاق طاقة رن رن يا جرس من

أضع خلفه هذه الطاقية فعليه أن يجدها ويمسكها ويطاردني ... إذا درت الدورة كاملة وجلست مكانه ، فعليه أن يضعها خلف آخر من الجالسين ... وهكذا أنتم تعرفونها . كانت مفاجأة من هذا الشيخ الكبير ... لقد عاد بنا إلى جمال وبراءة الطفولة ... وتوالت بعد ذلك المفاجآت السارة والتي كان أروعها : فجأة ظللتهم غيمة كبيرة ...

نظر أبو عائشة وقال في نفسه : هل هذا هو الجمل

صبور؟! ولكن الغيمة كبيرة جدا ...

هبطت الغيمة ثم ظهر من وسطها

الجمل صبور ولكن كان يحمل

حملا كبيرا على ظهره وقد وضعه في كيس كبير... ساعده الأسرى في إنزال حملة ... إبتسم الجمل وقال :

- هل تتوقعون مني أن أضيع فرحة المشاركة في هذا العيد الكبير.. لقد جئتمكم بهدية، فتح الكيس وإذا به مليء بالبطيخ ... كسر إحداها وقال : هيا تفضلوا كلوا معي على بركة الله ... هيا من يسابقتي في الأكل .

قال الشيخ الكبير : أنا أسابقك تقدم الاثنان باتجاه الكيس وبدأت المسابقة بينما أنهى الشيخ نصف بطيخة في حين كان الجمل قد أنهى خمس بطيخات ... وكانت النتيجة فوز الجمل بمسابقة أكل البطيخ

انتهى الاحتفال منتصف الليل... لم يبلغ السجناء « المقاطيع » بتجديد الحبسة لأبي عائشة لأنهم عادة يبلغون قبل يوم من موعد الإفراج ... إذا تأكد الإفراج بفضل الله اتصل أبو عائشة بعائشة وبشرها بالإفراج غدا ... لم تنم عائشة تلك الليلة وهي تنتظر صباح كل الأعياد التي جاءت في عيد واحد .

في الصباح وبعد صلاة العيد الحزينة التي أقامها الأسرى في ساحة السجن نادى السجناء على اسم «أبو عائشة» للإفراج ... كبر الأسرى وجاءوا من كل صوب وحذب يعانقون فلاح .. بددت فرحة الإفراج عن حبيبهم فلاح الحزن الذي كسا وجوههم ... تذكرهم لأطفالهم أحزنهم فجاء هذا الإفراج لينشر الفرحة في قلوبهم كما تنشر شمس الصباح ضياءها ... عندما يفرج عن أحدهم فإن الفرحة تنزل في قلوبهم جميعا ... وكان هناك أيضا قلب كبير يمتلئ فرحا .. إنه قلب صديقه الجمل صبور ... إنه يفرح بطريقته الخاصة ... نظروا جميعا إلى أعلى فوجدوا غيمة تتألق في السماء

وقالوا إنه الجمل ينتظر صديقه فلاح

أخذ السجانون فلاح فتشوه جيدا ثم ركب سيارة حديدية صماء كل ما فيها حديد حتى المقاعد والنوافذ... كلها من حديد ... حتى سائقها والسجانون الذين يحرسونها كأنهم قطع حديدية ... وبعد انتظار طويل سارت به السيارة الغاضبة سيرا طويلا . تعبر صحراء النقب وتتجه شمالا ... مرت بمدينة بئر السبع الصحراوية .. هذه المدينة التي كان يسكنها الفلسطينيون من البدو وعرب النقب وإذا بها اليوم أغلب سكانها من هؤلاء الصهاينة المعتدين . ثم سارت شمالا باتجاه مدينة عسقلان الساحلية .. هذه المدينة الجميلة ذات التاريخ العريق كانت حلقة الوصل بين بلاد الشام ومصر ولها الكثير من البطولات والانتصارات التي ردت الظلم والعدوان . لم ير فلاح شيئا من جمال الطبيعة الخلابة في جنوب فلسطين ... الصحاري الهادئة



الناعمة ذات الخشوع العميق ثم السهول الخضراء العامرة بالحركة والنشاط ثائرة المشاعر صافية الوجه ... تبتسم لكل الناظرين إليها من أهلها الأصليين ، تتجه إليهم وتمد جسور الشوق الى قلوبهم ... إلا أن فلاح لم يستطع الاستمتاع بهذا الجمال المدفون جنوبا بأرض فلسطين لأنهم سافروا به في سيارة لا نوافذ لها .

بعد ساعتين من السفر المرير أوقفوا السيارة عند حاجز عسكري للصهاينة المقاطيع ... كان هذا على مشارف محافظة الخليل ... أنزلوا فلاح وهو في غاية التعب والإرهاق لولا أنه نظر إلى أعلى فوجد غيمة جميلة فعرفه .. إنه الجمل صبور يسافر معه عبر السماء ... لقد وعد عائشة بأن يأتي مع أبيها عندما يفرجون عنه وها هو يفي بوعد
.....

فكوا القيد من قدمي فلاح ومن يديه كي ينطلق حرا في فضاء الحرية .. من هذا السجن الطويل .. ولكن سجانا آخر تقدم ومعه ورقة إداري جديد نعق الغراب :
- لقد جاء له قبل قليل تجديد جديد وستة شهور ...سنعود به إلى السجن حالا ...
«رفعوا السلاح على رأسه وتقدم أحدهم ليقيداه من جديد



طار فؤاد فلاح وتزلزلت مشاعره ... انفجر الغضب في صدره بركانا هائلا ... ولكن ماذا عساه أن يفعل والبنادق مشرعة على رأسه ؟؟
ارتجت الأرض به .. ثارت زوبعة كبيرة من تراب الأرض ... تحولت الغيمة الى جمل ضخم وسقط بين أيديهم ... انشقت قلوبهم هلعا وولوا مدبرين .. سوى فلاح حيث رأى صديقه الجمل ماثلا أمامه يقول له « هيا اركب ... أسرع هيا ...» ركب فلاح ثم طار به عاليا عاليا باتجاه مدينة خليل الرحمن ...

انتبه الجنود والسجانون والملاعين من ذهولهم ... صوبوا أسلحتهم باتجاه السماء ولكن الجمل وفلاح لاحا بعيدا في الأفق ... تمكن فلاح بفضل الله من الإفلات من قبضتهم السوداء وكان للجمل الصبور فضل كبير رغم أنه يرفض أن يتكلم عن فضله وهو دائم الكلام عن فضل الله .

(٨)

استمر الجمل صبور بطيرانه وهو يحمل فلاح باتجاه مدينة الخليل وعندما دخلا المدينة سأل الجمل فلاح :
- أتحب زيارة مدينة الخليل ؟!
- ومن لا يحب ذلك .
- جوا أم سيرا على الأقدام ؟
- حبذا لو سيرا على الأقدام حتى يكتب لي أجر الخطوات التي أمشي بها للصلاة في المسجد الإبراهيمي عليه السلام ...
سأل الجمل مستغربا : وهل تستطيع ذلك ؟
- أنت لا تدري فعل الصهاينة المقاطيع في مدينة الخليل ، لقد حاصروا المسجد الإبراهيمي وأخذوه من أهله المسلمين ... إنهم يصلون به صلاتهم النكراء ...
- أنا أعرف ذلك ولكنه بقي يصلي به المسلمون .
- إنها صلاة ذليلة ... أنا لا أرضى هذه الصلاة أحاطوا ما تبقى من المسجد للمسلمين بالحواجز العسكرية والمستوطنين الحاقدين ... كل من أراد الصلاة فإنه يرى كل أشكال الإذلال

- أيها الجمل الصبور ... أريد أن أصلي في مسجد كبير جدا لأخبر الناس عن عذاب السجانين الظالمين للأسرى المظلومين يجب أن يتحرك الناس لتحرير أسراهم .



همهم الجمل وقال : الآن فهمت قصدك يجب أن يعرف الناس هنا أن لهم أخوة يوم العيد يسرق منهم السجانون فرحته . لم يستطيع الجمل أن يهبط عند المسجد الإبراهيمي في الخليل خاف على نفسه وعلى صديقه فلاح من الصهاينة المقاطيع الذين يحيطون بالمسجد من كل جانب ... تحرك وسط البلد وهبط عند مسجد كبير كان ذلك عند صلاة الظهر رأى الناس هبوط الجمل ونزول فلاح عن ظهره ... فركوا عيونهم وكأنهم في رؤى منام ولما تأكدوا بأنهم في صحوة على ما يرام ... سألوا عن هذه الكرامة فأجابهم فلاح ... إنها كرامة من الله لإخوانكم الأسرى في السجون ... إنهم هناك يعذبون ... رسالتهم إليكم أن تنصروهم وتتحركوا لتحريرهم وتحقيق حريتهم . صلى فلاح صلاة الظهر في المسجد وأراد شد الرحيل والسفر إلا أن أهل الخليل الذين يمتازون بالجوود والكرم أصروا على إكرام ضيفهم ... تناول فلاح الغداء حيث اللحم

والمناسف ولذيذ الطعام ... ثم ودعهم بحفاوة بالغة ... وانطلق على ظهر صديقه
الجمال غيمة تمتطي عنان السماء .. مروا بمدينة بيت لحم حيث ولد السيد المسيح
عليه السلام... خشي فلاح إن توقف في بيت لحم أن يلزمه أهلها طعام العشاء فيتأخر
على عائشة ... لذلك أستمر في السير... قال الرجل ...

- أتريد الطريق الأصلية من بيت لحم إلى القدس ثم رام الله أم الطريق الطويلة التي
يسلكها الناس اليوم بعد أن قطع الصهاينة المقاطيع طريق الناس الأصلية ... طريق
وادي النار الطويلة المتعرجة الشاهقة ... تصور الطريق الأصلية ربع ساعة من بيت
لحم للقدس بينما هذه الطريق الوعرة تحتاج إلى ساعة ونصف بالسيارة
- دعنا من الطويلة أرجوك ... عائشة بانتظارنا ...

- إذا هيا إلى القدس مباشرة ...

- لنصلي العصر في القدس ...

وكان فلاح ينظر من فوق إلى المستوطنات التي أقامها الصهاينة المقاطيع على أرض
القدس .. يتحسر أما ويتعاضم شوقا إلى الأيام الآتية التي سيحرر فيها المسلمون
القدس ... يشعر من أعماقه بأنها باتت قريبة خاصة بعد النجاح الذي تحققه
المقاومة يوما بعد يوم ... وكان يشاركه هذا الرأي الجمل أيضا حيث يقول : هنا سيهزم
الظالم وينتصر المظلوم ... ويكمل فلاح : خاصة إذا كان المظلوم مع الله ... « يدعو
الله من جانب » ودعوة المظلوم مستجابة « ويتحرك ويعد العدة ويعمل كل ما بوسعه من
جانب آخر عندئذ () ولينصرن الله من ينصره () ...

وسط هذا الظلام المتكاثف في القدس ورغم أنف الاستيطان كان هناك قطعة من الجنة
تضيء بالهداية والنور والخير ... إنها المسجد الأقصى المبارك ... اهتز قلب فلاح
عندما رآها وطلب من صديقه الجمل أن يهبط فيها كي يصلي صلاة العصر ... وبعد
الصلاة التفت الناس حول فلاح والجمال ... فوقف فلاح يخاطب في الناس .

- أيها الناس ... هذه كرامة الله أهداها لأوليائه الأسرى وأشار إلى الجمل إنهم هناك .
في صحراء النقب وينتشرون في السجون .. إنهم يطيعون الله ، ويواجهون ظلم الصهاينة
المقاطيع إنهم يأملون منكم أن تساندوهم وأن تتحركوا لتحريرهم ونجدتهم .. هز
الجمال رأسه فتابع فلاح : هاهو الجمل الذي هب لنجدتهم إنه يضحي من أجلهم ويسعى
لراحتهم ليل نهار ... بذل كل جهده في مساعدتهم والتخفيف عنهم فكيف بكم وأنتم
أخوة لهم من بني الإنسان وعباد الرحمن .

هتف الناس بقوة وحماسة : الحرية للأسرى البواسل الموت للسجانين الظالمين ،
النصر لا محالة قادم ، النصر بإذن الله قادم .

ثم ركب فلاح جملة الصبور وحلقا عاليا .. كانا فرحين وسعيدين بمشاعر الناس
الصادقة وقلوبهم العامرة ... هتف فلاح :
- إلى رام الله أيها الجمل الحبيب ... إلى عائشة قبل الغروب ... إلى القلب المفقود إلى
الحبيب المنشود ...
- اصبر يا صديقي ... دقائق معدودة تكون في رام الله المهم أرشدني إلى البيت أين
يكون ...

(٩)

على باب البيت وقفت عائشة مع جمع كبير من الأطفال والأصدقاء والمحبين وكل
الأطفال بملابس العيد الجميلة ... تتموج فيها ألوان الورد الجميل ... الأحمر والزهري
والأصفر . كانوا يقفون معا كما تقف الأشجار بأزهارها الرائحة في حديقة أنيقة وكانت
عائشة في وسط هذا الجمع رافعة الرأس تنظر أمامها بعيدا كشجرة نخل تعبر عمر
طفولتها إلى حيث تكون عالية باسقة .. هؤلاء الأطفال هم أصدقاء عائشة الذين
حدثتهم طويلا عن حكايات الجمل الصبور ... جاءها اليوم كي ينظروا وصول هذا
الجمل ويشهدوا اللقاء الرائع بين عائشة والجمل الذي عرفوا منها بطولاته مع صبره
وقوة إرادته وتضحياته العظيمة .

رأى فلاح بيته وهو راكب الجمل في أعالي السماء ... أشار للجمل على البيت وقال :
- هذا هو بيتنا هو ذاك الذي يجتمع الأطفال أمامه ... إنهم ينتظروننا أيها الجمل
الحبيب ... لا أريدك أن تهبط بالقرب منهم ... اهبط هناك في الشارع العلوي للبيت
ثم تكمل الطريق إليهم سيرا على الأقدام .
- لماذا؟! ألا تريد أن يروا معجزة السماء .
- أريد أن أظهر أنا وإياك ونحن نمشي معا كأصدقاء .
- حسنا ها قد وصلنا ...

- هبط الجمل وسار مع فلاح باتجاه البيت وعندما وصلوا بداية الشارع الموصل للبيت
ورآهم الأطفال صاحت عائشة وصاح الأطفال .
- وصل الجمل هبطت سفينة الصحراء وصل أبطال النقب .. أشجع الشجعان بابا
والجمل حبيبي صبور البطل .
ركض الأطفال والتفوا حول الجمل وأخذ فلاح عائشة بأحضانه

ثم جلس الجمل كي تتركب عائشة على ظهره نهض الجمل عاليا وعائشة فرحة مسرورة ... تمسك بيد سنام الجمل وتلوح باليد الأخرى للأطفال ... وسار الموكب الرائع يدور حول البيت بينما الأطفال ينشدون ويصفقون حول الجمل وعائشة وكانت مفاجأة أخرى سارة ومن أعظم المفاجآت ... كانت أم عائشة تقف وسط الناس تبتسم ويشع وجهها فرحا وألقاً كأنها قمر الخامس عشر من رمضان ... كانت هي أيضا قد خرجت من السجن صباح يوم العيد ...

طار الجمل طربا وفرحا تحول إلى غيمة وحلق عاليا دون أن تخاف عائشة من الارتفاع في السماء ... حملق الأطفال والناس في هذا المشهد العجيب الذي يروونه بأعينهم ... قالوا ... يا له من يوم سعيد وجميل إنه فعلا يوم عيد .. عيد سعيد .

قام الجمل بجولة سريعة مع عائشة في سماء رام الله ثم عاد إلى حيث الأطفال أنزل عائشة عن ظهره ثم نهض وقال

- الآن أستودعكم الله ... سأعود لأخواني الأسرى هناك رجته عائشة أن يبقى عندها فقال :

- أنا الجمل صبور ... أصبر نفسي مع المظلومين .

أساندهم ، أقف معهم وأكون مع المضحين

أنا صبور ولكني شجاع وغيور

أحب كل حر كريم وأكره كل جبان ذليل

تدخل فلاح «أبو عائشة» وقال :

- أنا معك صديقي العزيز ... الأسرى بحاجة إليك ... ولكنك ضيفنا هذا اليوم .. وإكرام

الضيف واجب عظيم ...

وقالت أم عائشة : الطعام والشراب بانتظاركم داخل البيت ... الليلة ستكون لنا

بصحبة الجمل صبور أعظم حفلة شهدتها فلسطين بإذن الله .



صفق الأطفال وهتفوا وهم طربون :

في العيد نغني بسرور

نحن الأطفال السعداء

يرقص في الساحة ويدور

أهلا بالجمل الصبور

يتحدى الظالم ويثور

ويساعد أسرى الحرية

أنت الناصر أنت النور

نحمدك يا ربي حمدا

النهاية